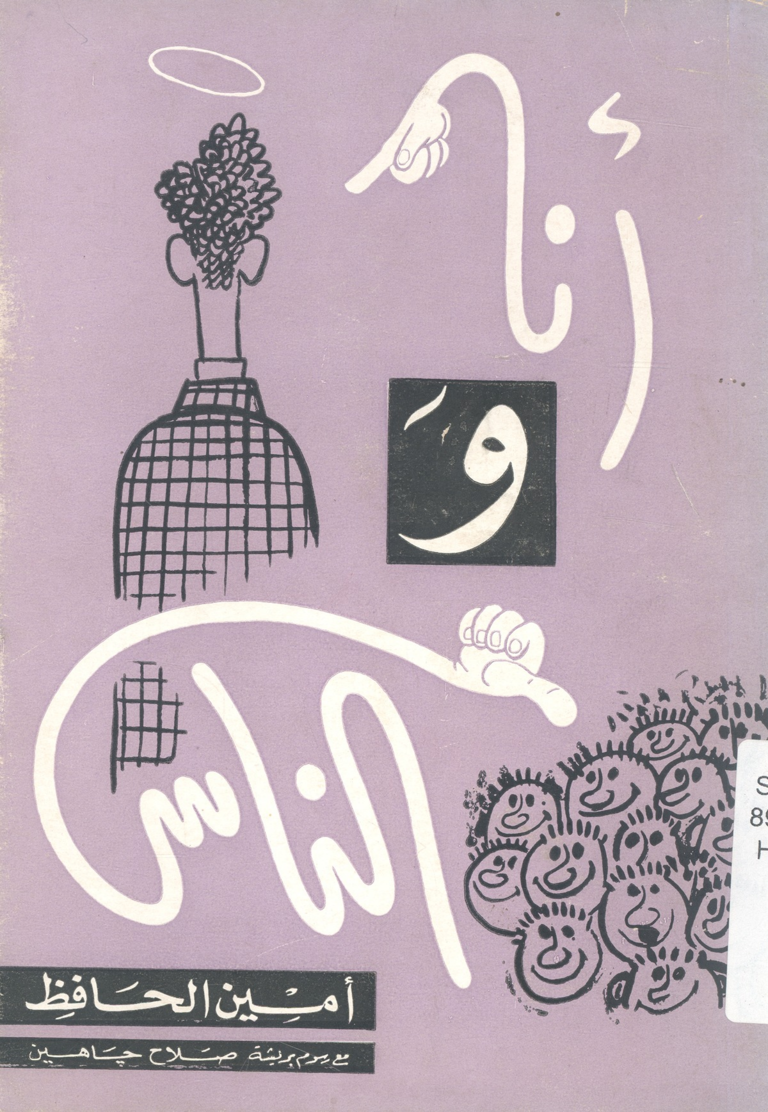

أنا و الناس
أمين الحافظ
مع رسوم بريشة صلاح جاهين

المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر
ص.ب ٣٥١٥٠ - بيروت

انا والنـــاس

امين الحافظ

مقدمة

ليس الادب صناعتي ، ولكنني امارس الحياة ...

اعيشها ، اعاشرها ، استسيغ بعض متعاتهــا واصطلي ببعض نارها ...

انصرفت الى علم الاقتصاد ، فمــا منعني ذلك عن التلفت حولي في طريقي، الى الازهار والاشواك ، اتنشق عبير الاولى واكتم ألمي من وخزات الثانية ...

وأراد لي قدري ، وأنا اعيش مجتمعي وعالمي ، ان التقي باصناف من البشر ، وأنا اتأثر في حساسيتي بطباعهم ونزواتهم، وتقاليدهم وبدعهم ، وشمائلهم ونقائصهم .

وكان تأثري يجري قلمي في أويقات فراغي ، فاتخذت من الكتابة هواية ، تماماً كهوايات جمع الطوابع وألعاب الرياضة، والقعود في الزوايا للتحدث عن النااس ...

... وانا كذلك قد تحدثت عن الناس ، ولكن بقلمي لا بلساني ، ولقرائي لا لجلسائي ، وبيني وبين النــاس قصص انا

اعلمها وهم كانوا يجهلونها ، لانها لم تكن تخرج من طيـات نفسي الى العالم الخارجي ، ولم تكن تبرح تنتقل من لبي الى فؤادي ومن اعصابي الى ذاكرتي ... حتى آن لها يوماً ان تنفس عن بعض المكبوت ، وان تكون « مفكرة » جريدة « الجريدة» هي « نافذة العرض » او « حبـل النشر » ، واستدام ذلك اكثر من ثلاث سنوات ...

ثم رغبت الي المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر ان أجمع بعض الصور الشخصية والاجتماعية التي رسمتها في كتاب ، واحترت في امري ، اذ تعودت ان اطلع القراء على آرائي في الشؤون الاقتصادية ، فمـا الذي يدعوني اليوم لاطلعهم على آرائي فيهم هم بالذات ؟ وتساءلت فيما تساءلت أن كان ما كتبت يهمهم ، ثم ادركت ان كل امريء يتشوق الى معرفـة رأي أي فرد آخر فيه ، فقبلت ، ثم راجعت كتـاباتي ، وحرصت على ان تكون الصور التي عبرت عنها باللفظ مشفوعة بالخطوط المرسومة ، حتى يعيش القـارىء وجهاً لوجه امام الشخصيات التي قدمتها ، ولم اجد للتعاون معي على هذا

العرض اكفأ ولا اقرب الى حسي من صديقي الفنـــان صلاح جـــاهين ، وهو شاعر واديب ، ورسام محلق مجيد ، ولقد وافاني من القاهرة الى بيروت ، وعـاش ردحاً من الوقت في المجتمع الذي نهلت منه افكاري واخترت اشخاصي ... فرسم مجموعة من رائعاته واكتملت بذلك رسالة هذا الكتاب .

ولا يظنن القارىء اني قسوت في انتقـاد شخصياتي ، ولا يعتقدن اني تعمدت التشويه والايلام ، فمـا كان يدفعني الى كتاباتي سوى حرصي على المساهمة ولو بقسط متواضع في اصلاح مجتمعي ... ولو على طريقتي الخـــاصة ... ولم يحفزني الى نشرها الا ايماني بانهـا اذا لم تفعل فعل الاصلاح والانتباه الى النقائص ، فانها على الاقل سوف تجلب الابتسام والتسلية ... والحب ...

اليس الحب بين افراد مجتمعي هو اقصى ما اتمناه انا وتتمناه انت ايها القارىء ؟

امين الحافظ

بيروت في أول ايار (مايو) ١٩٦٠

انـــا

قلت لصديقي الرسام حين فرغ من صورتي :

ـ مـا الذي لفت نظرك اكثر من غيره في شـكلي وسحنتي ؟

قال : عنقك الطويل !

قلت : وما معنى ذلك ؟

قال : معناه انك فضولي ...

فقلت في نفسي : لقد اخطأ الرسام



وسألت صديقي الاديب :

ـ مـا الذي لفت نظرك اكثر من غيره في اسلوبي وكتابتي ؟

فأجاب : مزجك الخيال مع الواقع ، والجدي مـع الفكاهي ، والعلمي مع الادبي ..

قلت : وما معنى ذلك ؟

قال : معناه ان عقلك واسع وقلبك رقيق ..



فقلت في نفسي : لقد اخطأ الاديب ..



وسألت صديقي طبيب الاسنان :

ما الذي لفت نظرك في اسناني ؟

فقال انسجام الاسنان الأمامية وبروز النابين وطولهما وحدتهما ..

قلت : ما معنى ذلك ؟

قال : هدوء في السلوك ، وانقضاض على البغية حين تحين الفرصة ...

فقلت في نفسي : لقد اخطأ طبيب الاسنان .

★

وسألت صديقي العاطل عن العمل : ما الذي لفت نظرك في طريقة عملي ؟

فقال : تشبثك بالانهماك في أكثر من موضوع ، وتوزيع نشاطك هنا وهناك ، وبعثرة جهودك بدلا من ان تخلد الى نفسك وتقتنص اقصى حـد من المتعة في شأن او مهمة محدودة معروفة ...

قلت : ما معنى هذا ؟

قال : معناه انك مضطرب النفس لا تعرف مـاذا

تريد ...

وانك كبير الامـــال شديد الطموح ولكن بصمت واسترسال ، وانك واثق من ان العمر لا يتسع لـكي تصل الى الكثير مما تبتغي باسلوب منسق منظم ، وهيهات ان تصل الى شيء مهما جهدت..

فقلت في نفسي: لقد صدق صديقي العاطل عن العمل..

بل ربما كان فراغه كفيلا بان يعـد فلسفته بالمعين من الحكمة والمزيد من الحصافة ، والصحيح من القول.

فهل الى البطالة الممتعة من سبيل ؟ هذا ما اشك فيه.

فأنا لست فضولياً كما قال الرسام ولست واسع العقل رقيق القلب كما قـال الاديب ، ولست هادىء الطبـع متحيناً للفرص كما قال طبيب الاسنان ، بل انا حائر بين كل هذه الصفات، لا اثبت على واحدة منها ولا ألوي على شيء ، وقـد يكون في هذا متعة تفوق اي شيء ، وقـد تكون الالوان التي احياها في ركب الحياة افضل من اللون الواحد ، واجدى من القبوع والثبات ، و « حصرمة » في عين علماء الاخلاق وعلماء النفس .

سجين الـ « أنا »

انه يكاد يضيق بنفسه وتكاد تنفجر في صدره الاهواء الجياشة التي لا ينفك يهجس بها ليل نهار . فاذا خلا الى نفسه تلاحقت الصور امام مخيلته بسرعة بارقة ، وتزاحمت مطامحه يدفع الواحد منها الآخر طلباً للمجال الحيوي .

انه يريد ، ويريد ويريد ... ودماغه يعمل ، وخياله ينشط دون كلل ، والآمال لا تلبث ان تجسمها الاحلام وتبني منها قصوراً دونها قصور اسبانيا . وهو لا يصبر على تصميم مشروع ، او على كتم مسعى يريد ان يقوم به من اجل نفسه .

وهو في يقظته الدائبة وهمه المتواصل ، يتآكل في ضمن جسده ، وتبرز هذه الاعتمالات في حركاته ، فينكب على اظافره يقضمها ، وعلى رأسه يهرشه ، وعلى بدنه يحكه ، وعلى انفه يدعكه وهو ممعن في التفكير .

اما اذا اجتمع بأي شخص ، سواء أكان صديقاً امن



المعارف ، ام انسانـاً تعرف اليه لساعته ، فانك تراه يدخل في الحديث مستعيداً تاريـــخ حياته وذخائر مواهبه ، ونوادر ما اتفق له من أحداث ثم يتحدث عن خططه وآماله ويبوح بكل ما في صدره من طموح .

فاذا حدث ان افلت منه زمـام الحديث وانتقل الى احد الجلساء ، الفيته يشرد بذهنه في الحـــال ، عاجزاً او زاهداً عن تتبع اهتمامات غيره لا سيما اذا كان الموضوع لا يدور حوله هو بالذات ، فهو بذلك ساقط في فن الانصات ، وهو فن جميل يدخل في فن المحادثة ولا يقل عنه روعة وبراعة . اما اذا كان موضوع جليسه يتناوله بالذات ، كان كله اذانا صاغية .

وهو ينظر الى كل ظاهرة في الحيـاة ، وكل خبر يبلغ مسامعه من خلال نفسه . ولعل معظم جمـله تبدأ بكلمة « انا » . فإذا قلت له مثلا انه قد اكتشف دواء ضد الكساح في الصين ، اجابك « انا اخاف من هذا المرض » واذا قلت له ان الكاتب الفلاني قد طلع على العـالم بكتاب مفيد يعالج الموضوع الفلاني والموضوع الفلاني ، اجابك ساهماً : « انا

ناقم على نفسي لاني لا اقرأ كثيراً في هذه الايام »
واذا شكوت اليه همـاً من همومك يقض عليك
مضجعك ويلزمه المشاركة في الرأي والبت السريـع
عقب على كلامك ساهماً : « أنا بحمد الله لا اعاني
من مثل هذه المشكلة ، ثم ينطلق بعد هذه الجملة
مستأنفاً الحديث عن نفسه تاركاً مشكلتك تشكو
الوحدة .

انه سجين الـ « انا » ، وكأن الدنيـــا قد تركزت في
شخصه وكأنه قطب الرحى في شؤون الكون .

لكنه رغم هذه الطاقة المتغلغلة في أهابه والمعتملة في
جوانبه ضعيف غير منتج . لانه مشتت الذهن
كثير المشاريـع واهن الارادة . يبدأ في مهمة ثم لا
يلبث ان ينتقل الى غيرها ثم الى ثالثة لانه يمل من
كل واحدة وتحتشد امامـــه المشروعات تنتظر
دورها .

انه يستحق الرثاء ، ولكن الامل من اصلاحه ضئيل ،
فنكتفي باعتباره انساناً طريفاً ، قد يشوقنـــا
أحياناً الاستماع اليه ، ثم الانصراف عنه بابتسامة
ساخرة .

افنـــدم

سأبدأ بالقبة المنشاة ، المثنية من طرفيهـا ، وبالدبوس
المدبب الذي يثبت ربطة عنق عقدت برخـاوة
واعتناء ، ثم « بالكزلك » التقليدي الذي يقرص
ارنبة الانف وتتدلى منه سلسلة ذهبيـة تصل الى
جيب الصدرية ذات الازرار الكثيرة .

اما الوجه فعابس ، واما الشنبات فعنترية ، وامـا
الصوت فراعد رهيب يبعث الوجـل في القلب
اكثر من « الباسطون » الرقيق الدقيق الذي يحمله
من مقبضه المفضض مع كنار من العاج .

ويقرع الباب في اي ساعة من ساعات الليل او النهار ،
أليس له الحـق في كل شيء ؟ والصدارة في كل
مجلس ؟ والتفضل والتشريف بكل زيارة يمن بها ؟
أليس « البك » المحـترم ، الذي كان ضابطاً في أيام
«سفر برلك » وكان «باش كاتب» خطير الشأن في
ايام العثمانيين ، ثم حاكم صلح في احدى الملحقات؟
اهلا وسهلا بمولانا ، شرفتم وآنستم ، ولسنا متضايقين



من زيارتكم، حتى ولو لم تكن في ساعات الزيارات المعتادة ...

ويختار المقعد الوثير ، ويجلس عليه وكأنه يجلس على العرش ، ويضع « الباسطون » بين رجليه ، وما يزال يتكىء عليه تارة ، ويريح عليه ذقنه تارة اخرى .

ويبدأ سلسلة من الانتقادات ، اولها العتاب بأنك لم تقم بواجب سؤال الخاطر بزيارته منذ امد طويل، وآخرها بأن صورته الكريمة لا تحتل مركز الصدارة في قاعة الاستقبال عندك .

ويسألك اذا كنت متمماً واجباتك الدينية والاجتماعية .. فاذا حاولت الاجابة قاطعك بسرعة ليتحدث عن التمام والكمال اللذين يتحلى بهما في هذا المضمار ، وفي غيره من حقول الفهم والعلم والذوق والشيم والمحامد . ثم تخطر بباله أيام زمان ، وعبر سالف الايام ودروسها ، والامجاد التي حققها و « النوادر » التي وقعت له ، فينطلق في القصة تلو القصة ، وكلها تعرفها واعتاد ان يرويها في كل مجلس ، بل انك قد حفظتها ظهراً عن قلب .

وله في الرواية اسلوب اقل ما يقال فيه انه ممل ومثير

للاعصاب في آن واحد . فهو يلقي بالجملة رافعاً حواجبه ، وما يكاد ينتهي منها حتى يطرق في الارض خافضاً حواجبه ومسنداً ذقنه الى مقبض « الباسطون » وكأنه يستجمع شتات افكاره وبارقات خواطره وشاردات ذهنه واطراف جهده لكي يرفع رأسه بعد هنيهة من الصمت ويستأنف الرواية ، وانت مجبر على اثبات بصرك في شفتيه وعلى تحريك رأسك علامة الفهم والتقدير والاعجاب .

ولا تنتهي الزيارة الا بعد ان تزهق روحك او تكاد وبعدان تلعن الف مرة الظروف الاجتماعية والعائلية التي حتمت عليك استمرار علاقتك بهذا المخلوق المتداعي ذي العقد النفسية المتراكمة ومركبات النقص التي تكاد تشكل عمارة هائلة فوق بعضها البعض .

ويختفي عن ناظريك وانت تتمنى ان تكون آخر مرة تتكحل عيناك برؤيته ، وتغلق الباب ولا تزال تطن في اذنك كلمة « اللازمة » الخالدة التي يصل بها كل مقطع من مقاطع حديثه : « افندم » .

كاتب ، مع وقف التنفيذ

لا تزعجوه ، انه يريد ان ينصرف الى العمل . اسدلوا
له الستائر واغلقوا من دونه الابواب ، وأحكموا
ايصاد النوافـــذ ، واكتموا عن سمعه الانفاس
واخفضوا له الضياء ، واكثروا من الوسائد على
مقعده ، وافرغوا من عـــلى منضدته كل مظاهر
الفوضى ، انه يريد ان يستلهم ، يريد ان يتحف
الناس بدرره الغوالي ، يريد ان يسطر الاعجاز ،
يريد ان ... يكتب .

ويجلس « العبقري » بتؤدة واناة ، وقد اسدل على
شخصه الف برقع من قتام ، ورسم على جبينه الف
خط من خطوط العبوس ، واتشح بالوقار ، وتدثر
« بالانسجام » !

لا ، ان شيئاً ينقصه ..

ماذا ؟

رزمة من علب السجاير ..

تستحيل في غمضة عين الى اعقاب تملأ المنفضة ، فيتصاعد



الدخان ويملأ الحجرة ، ويزيد من هيبة المكان ورهبته .

وهناك شيء آخر لا بد منه .. اسرعوا ، واحضروا القهوة ، الفنجان تلو الفنجان ، فالاستاذ صاحب مزاج ، وكيف يمكن له ان يندمج في موضوعه ، قبل ان تستثار أحاسيسه ؟ !

وأخيراً يمسك بالقلم ، وينظر اليه بحذر وتفحص ..لا، انه بحاجة الى البري ، وكيف يشحذ الذهن قبل ان يشحذ القلم ؟ انه يقوم من جلسته متثاقلا ، فيبحث عن المبراة ، ويقلبها بين يديه برهة ثم يدخل القلم الى جوفها ، ويضغط باسنانه على لسانه مبالغة في طلب الاتقان ، وما يعتم ان يخرج القلم وينظر اليه بدله وافتخار ، وترتسم على أساريره آيات الظفر والانشراح فيعود الى المنضدة، ويختار من بين الأوراق انصعها بياضاً ، وأجزلها اتساعاً، فيضع عليها يده الممسكة بالقلم برشاقة دونهارشاقة راقصات الباليه ، ويسند رأسه « المثقل » باليد الاخرى ، وهو وافر الثقة ، بادي الاطمئنان ، كله احساس « بخطورة » ما هو مقدم عليه .

وهنا تبدأ فترة من الجمود ، هي بمثابة اقتعاد الليث

قبل الوثوب ، او احجام النمر قبل النشوب ..او
قل انه كالهدوء الذي يسبق العاصفة ..

والعاصفة هنا لا تقتصر على الزفير والنفخ ، ولا تبقى
عند زقزقة الكرسي من هزة القدم بعصبية ، ولا
تنحصر في صوت الورق يئن حين يتكور ويقذف
في السلة بعنف ... بل تتعدى ذلك الى سيل من
الشتائم على هذه « الحالة » (ايـــة حالة لست
ادري ، ولا هو يدري) ..

هكذا ، واللفافة تتبع اللفافة،والرشفة من القهوة تتبع
الرشفة،والورقة عليها بعض السطور تتكور وتتبعها
الاخرى ، الى ان تنتهي المقالة ، وليتها لم تنته!.

ويقول في تعليل اخفاقه : ما حيلتي ؟ لقد كان «الجو»
الذي اكتب فيه غير ملائم ..

*

وهناك آخر ، يلمح الفكرة وهو يحلق ذقنه ، وتأتيه
الجملة وهو يركب «الترام» ، ويبحث عن قلم يسطر
فيه ما عنّ على ذهنه فلا يجد الا ريشة مكسورة،
ويتحسس جيوبه علهيجد ورقة ولكن دون جدوى
فيسرع الى الكتابة على كم قميصه انتظاراً لوصوله

الى مكتبه حيث « يبيض » المسودة !!
وتأتي مقالاته من أروع وأبدع الفكر والتحرير ..

*

يقول المثل العامي : « الغزّالة تغزل على ساق حمار ، وغير الغزّالة تعجّز العطار » .

الشرح : ان المرأة الماهرة في غزل الصوف تستطيع ان تغزله ولو على ساق حمار ، والمرأة التي لا تتقن هذه المهنة يشتكي منها العطار بائع المغزل ، من كثرة ما تتردد عليه وما تبدل من عنده مغزلها الذي اشترته وهي تزعم انه غير صالح ، او فيه عيب أو علة ... وينتهي بها الامر الى خيوط صوفية رديئة سيئة الغزل .

السينما ... بالعكس

ماذا تفعل عندما تقصد احدى دور السينما لتشاهد
فيلماً توسمت فيه خيراً ، فاذا به ينكد عليك
جلستك وينغص مقامك ويثير تثاؤبك ، ويهيج
اعصابك ويغلفك بأغطية من الملل والكآبة والسأم؟
هل تقوم من ساعتك وتغادر المكان ، وتحار اين
تذهب في تلك الفترة التي لم تكن قد عينت لها
مكاناً في برنامجك اليومي ؟
ام تغمض عينيك وتحاول النوم مستشفعاً بالظلام ؟
ام تنصاع للامر الواقع وتتابع مشاهد الفيلم السخيفة؟
دعني ادلك على طريقة مبتكرة تقضي بها وقتك ،
وتسلي سأمك ، وتخرج من القاعة عند انتهاء
العرض كالمنتصر ، غير متحسر على المال الذي
دفعته ثمناً لبطاقة الدخول ..
أتدري ماذا تفعل ؟
حوّل بصرك عن الشاشة ، وحرك عنقك قليلا ، ثم
راقب من حولك وخلفك من الناس ، وانظر الى

تعبيرات وجوههم وحركات ايديهم واقدامهم وهم
يتابعون مـا يدور على الشاشة ، وانا اضمن لك
التسلية ، بل ربما الضحك والقهقهة .
لقد جربت ذلك بنفسي . وأدرت وجهي الى الجمهور..



هذا الشاب الذي يحدج الشاشة برزانة وعبوس قـد
اطرق برأسه قليلا فاضطر الى الشخوص ببؤبؤي
عينيـــه الى فوق ، واغلق قبضتيه كمن يتحفز
لأمر جلل ..
وتلك السيدة العاطفية التي تدلت شفتها السفلى عن
ابتسامة تدوم ما دام الفيلم،وعلى خدها آثار دموع
لمشهد مؤثر مر منذ دقائق ..
وتلك الفتاة التي ينضح وجههـــا بالوسامة الممزوجة
بالغباء ، هي لا تفهم قصة الفيلم ، وتحتار في الحكم
عليه ان كان ناجحاً ام فاشلا ، وتنظر الى البطلة
نظرة التحدي تارة والحسد تارة اخرى ... انهـا
تود ان تكون في مكانها .. لا لشيء الا لكي تلبس
فساتينها ...
وذلك الرجل الأصلع الذي يمسك يد زوجته ذات
الشعر المجعد ، وكأنه يريد ان يمسك الفيلم حتى


EXIT
EXIT

لا يهرب وينتهي ، فيضطر الى العودة مع زوجته
الى البيت لاستئناف حياة رتيبة مملة ..
وذلك الشيخ المتصابي الذي يغشى دور السينما مع رهط
من الاصحاب على طريقة « ابناء العشرة » ويعلق
على حوادث الفيلم تعليقات «اصحاب الغز السابق»
ويهمز ويغمز فيستجيب له احد افراد الرهط من
الشبان الرقعاء بضحكة ليست كالضحك ولكنها
كالتدشق ..
وتلك السيدة المحمرة المبودرة التي تراقب الفيلم وكأنها
تدخل لأول مرة قاعـــة السينما ، فهي مدهوشة
مشدوهة ، كل ما يمر أمامها عجيب غريب ، وهي
تعبر عن هذا بطرقعة العلكة التي تمضغها باجتهاد
وسرعـــة ، فاذا لم تطرقع العلكة اكتفت
بطرقعة شفتيها مع لسانها ، لئـلا يتغير شيء على
عصبي المزاج امامها الذي يأخذ في لعن اجداد من
اخترع العلكة ... ويسد اذنيه بأصابعه .
ولعل اكثر ما يثير ضحكي ، ذلك الشاب ، ذا الشعر
الأملس الأسود ، الغارق في لجة من « البريانتين »
والسوالف الطويلة على شكل جزمـة ايطاليا ،
والشاربين من طراز « دوجلاس » وربطة العنق
ذات الشكل المثلث الضخم ... وفي قبضته كمية

من الفستق يقشره بأسنانه البيضاء الماضية ويلتهمه بسرعة البرق ...

وهو يتابع سياق الفيلم بشغف زائد ... وكأنه ينتظر امراً معيناً .. وأخيراً ينال بغيته وتنفرج اساريره ويلقي بالفستق الى الارض .. ولا يلبث ان يتخذ وضعاً مناسباً ... ان حوادث الفيلم قد استدعت معركة ... بالايدي ، بالمسدسات ، بالخناجر ، بالعصي .. كل هذا سواء عند صاحبنا .

انه يزم شفتيه ويقطب حاجبيه ويقبض يديه ، ثم يحرك ساعديه مشتركاً في المعركة ..

فاذا أحس على نفسه ، وادرك انه غالى في حماسته ، هدأ روعه قليلا وأخذ يراقب المشهد بعينيه اللتين تتطايران شرراً ، وبعنقه الذي يدفع برأسه تارة الى الامام وتارة الى الوراء ، حسب الكر والفر على الشاشة ..

★

وبعد ، فلا تخف بعد الآن ان ينكبك الحظ العاثر بفيلم سخيف لا تحبه . كل ما تفعله عندئذ ، هو ان تحول رأسك من امام الى خلف فتشاهد فيلماً اوفر تسلية ، واكثر تنوعاً ... وامتع !

نفـــاق

اطبق جفنيه العريضين الثقيلين وحاول ان يعيدفتحهما
فلم يفلح .. ثم استجمع قواه ونفخ ودجيه وطنب
عروق صدغيه ، وجهد وعرق وتحمس . . . . . .
وهيلاهوب ... استطاع ان يفتح عينيه من جديد
ولكن نصف فتحة في هذه المرة .. .

وجاء دور الشفتين الغليظتين .. اليس من الواجب ان
يفتحهما لكي يتكلم ؟ والكلام امر لا مناص منه،
فهو يجلس مع شخص آخر لا ثالث لهما ، وقدسمع
مراراً ان ليس من اللياقـــة ترك الضيف دون
مسايرته .... امره لله اذن ، وليتكلم :

وانفرجت الشفتان اخيراً وكأنهما مصراعا دكان قديم
في احدى أسواق الجمعة . وكأنهما خشيتا ان
يعود الجفنان فينطبقان ، فمـا لبثتا ان دفعتا من
ابعاد الحلق صوتاً أجش هو اقرب الى الحشرجة
منه الىالحديث، يبدأ ثقيلا صلباً ثم يتقطع ويخالطه



تغط اللعاب الذي يملأ الفم ويعيقه عن الاسترسال
مـــا اصاب أوتار البلعوم من اثار الدخان ، ثم
يخفت ويخفت حتى ينطفيء مع انتهـــاء النفس ،
فيهلع قلب الضيف خوفاً من ان تنطبق الشفتان
مع انتهاء الجمـلة ، وقد يكون الامر اشد هولا ،
فينطبق الجفنان .

مجلس بهيج .. اليس كذلك ؟ يقول صاحب المنزل ان
سببه الحر .

ويقول الضيف ان سببه ثقل المضيف .. في الدم والجثة
والكرش .. والوجود ..

فنسأل الضيف بحرارة : ولكن مـا الذي اجبرك على
تحمل هذا العنت والرضوخ لعنـــاء مجالسة ذلك
المخلوق .

فاذا بالجواب ينهال على وجهك وكأنه صفعة صاعقة :
انه رئيسي في العمل، ولا بد من زيارته واستدرار
رضائه .

وتنظر الى الاثنين بكل اشمئزاز .

على مفترق الغضون

عندما سمعت ان هناك حمامات ذات مياه معدنية ترد
الشباب ، وتزيل الترهل وتقيـــل عثار الجسد لم
تراجع نفسها لحظة واتخذت القرار بالسفر في الحال.

وقامت الى المرآة كانها تستعد لوضع قائمة باعضائها
التي تحتاج الى ترميم واصلاح ، تمامـــاً كصاحب
السيارة الذي ينوي ان يضعها في مرأب التصليح
ويجري عليها فحصاً عمومياً .

واخذت تطيل النظر في مرآتها :

الشعر الذي وخطه الشيب لا بد له من الصبغة، والصبغة
ضرب من التزييف ، ولون من الوان الخداع ،
ولكن لا بد منها حتى تحتفظ المرأة بسمعة الشباب...
الشباب ؟.. وهـــل بقي هناك شباب لمن تجاوزت

الخامسة والاربعين ؟ وماذا يفيد التمويه ، وماذا تجـــدى المحاولة ... أليس من الاليق ان يبقى الشعر على شيبه حلة مهيبة ، وتاجاً ناصعاً على مفرق الحكمة يكلل ناصية السنين ؟ أليس من الابهج ان يتداعى الفتيان من الابناء والصغار من الولدان الى هـــذه المرأة البهية التقية ، فيلثمون اليد ، ويضعون الرأس على الخـــد ، ويتقرون الشعر الابيض طالبين البركة باللمس ؟ اي والله ! فلتغفل امر الشعر ...

... ولتنتقل الى الوجه : العينان اللتان زال بريقهما من زمن ، وحلت محله الوداعة والرقة والدعة ، ما الداعي الى محاولة استعادة اغرائها ، والتطاول الى غنجها ؟ اليس من الافضل ان يتطلع اليها الملهفون ينتجعون الامان ، والقلقون يستلهمون الاطمئنان ، والمعذبون يقبسون الحنـــان ؟ وهل يجدي التكلف ويواتي التبذل ويستساغ التصابي ؟

اما البشرة المتغضنة المتجعدة ، قد تفيد مياه الحمامات في « فردها ونشرها وكيهـــا » بعض الوقت ، ولكنها لن تعتم ان تعود سيرتها الاولى مع الكثير من « الشطشطة والمطمطة » فمـــا فائدة هذا ؟ اليس من الاجمل ان يقبل احد الابناء فيلهو بهذه



التجعدات مداعباً ، يتخذ منها تارة صورة، وتارة
قمرا وتارة طرقاً ودهاليز ؟؟
... ما ان وصلت الى هذه الخلاصات في محاورتها
بينها وبين نفسها حتى تراجعت عن المرآة ،
وتراخت على المقعد الوثير ، ونظرت الى حقيبة
السفر فوق الخزانة نظرة هادئة .. وكأنها
تقول لها :
« مهلا يا صاحبتي ، دعك في مكانك الآن ، فان
اوان السفر بعيد ! »

خدوم

تشاهده في ساعات صفائك فيتعكر ذلـك الصفاء ، وتصادفه في غمرة عملك فيتوقف العمل . ويعرض عليك مساعدته في مشكلة كان حلها بسيطاً فاذا به يزيدها تعقيداً ، ويدفعك الى نفاد الصبر وتوتر الاعصاب .

خدوم افندي ..

شخصية لبست طربوشـــاً حنته الى الامام فتدلت الشرابة ، والوجه منبسط خدوده مكتنزةبارزة، والانف مفلطح والشفتان عريضتان سمينتان تزيدهما اتساعاً ابتسامة سمجة ويعلوهما شاربان رفيعان اسودان ،قد تم نظمها واستطال مداهما .

اما الصوت فرنان ، والحديث تشوبه اللهجةالدمشقية، واحد الاسنان من الذهب ، واللفظ تبرز فيـــه

السين والصاد ، كأنها صفير قطار عتيق .
خدوم افندي ، يفكر في مشكلاتك .. ويحاول ان يقدم الحل ، وان يسرع في التنفيذ . وتحار انت مخجولا ، فلا انت تريد ان تجازيه على اهتمامه بالرفض المهين،ولا انت مطمئن الى كفاءة حضرته ومقدرته على « الحل والربط » . وخدوم افندي نافد الصبر دائماً ، ناجز البت لا يتوقف هنيهة امام موضوع الا ويكون قد إتخذ بشانه القرار ، وبين القرار والتنفيذ اقل من دقيقة !!
انه لا ينفك ينظر اليك ، فكأن بصره قد علق بك الى الابد ، وهو يراقب ادنى حركة تاتيهـــا ، ويعلق على ابسط اشارة تبدر منك ، فادا حركت يدك لتناول كوب الماء الذي بجانبك لتشرب ، اسرع هو من بعيد يناولك اياه قبل ان تبلغـــه يدك ، وفي طريقه يكون قد قلب الكرسي وهز الطاولة وداس على يد الطفل الجالس على الارض ، ودفع بكتفه سيدة تقف الى جوارك ، ثم امسك بالكوب قبلـــك ، وهم بان يسلمك اياه ولكن هرجه يودي به الى ان يصب المحتويات على ثيابك، فيحرمك لذتين : لذة الهدوء ، ولذة الدفء .
وهنا تحمر وجنتا « خدوم افندي » من الخجـــل ،



فيعمل ذهنه في لمح البصر ، ويخرج بقرار جديد،
سرعان ما يباشر بتنفيذه ، يمد يده الى جيبه
ليتناول منديله ليمسح لك مـــا اهرق ، فاذا
بالمنديل يكون اوسخ من ان ينظر ، وتاتيـــه
العطسة في اللحظة عينها ، ولا يملك الا ان
يتقيها بالمنديل ،ويخرج من منخريه ما فيه النصيب
ثم ينكب على ثوبك يمسح !

✶

وخدوم افندي ، يريد ان يتحدث عنك في المجتمعات
ويطنب في مدحك فاذا قال قائل عنك انك
مثقف ... اجابه في الحال : بل انك قرأت كل
كتب الفلسفة والعلوم التي الفت .
واذا قال قائل عنك انك غني ... اجابه في الحال :
بل انه يملك ثلث البلد .
واذا قال قائل عنك انك معروف في بلدك ..
اجابه في الحال ، «بل انك الزعيم الاوحد المفدى ...
واذا قال قائل عنك انك لم تنزل اليوم من بيتك بسبب
زكام خفيف وسعلة بسيطة ...
اجابه في الحال : «بل ان رئتيك الاثنتين معطوبتان» !

كلمه هو

حول بصرك عني يا أخي ، فأنا لا علاقه لي بموضوعك
انت تتناقش وتتشاجر مع شخص غيري ، وهذا
الشخص واقف بجانبك ، وانتما تتبادلان الكلام في
موضوع تعلمان عنه اكثر بكثير مما أعلم ، فلماذا
تتطلع الي عندما تقذف بحجة ، او عندما تشتكي
من ظلم ، او عندما تدلل على خطأ ؟

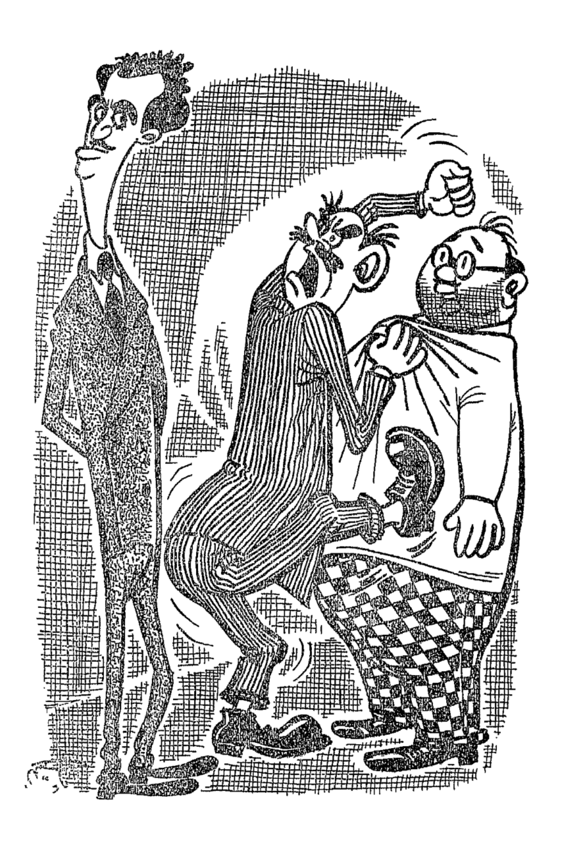
كلّمه هو، تحدث اليه هو ، حاول ان تقنعه هو ، انه
هو بالذات المعني بالموضوع ، وانا لم اوجد معكما
الا صدفة ولن يمكنني ان اساعدك على اقناعه ،او
أساندك في دعواك ، او اشاركك الشعور بالظلم ،
لسبب بسيط ، هو انني غير ملم بالموضوع .

انك تحرجني عندما تتطلع الي محاولا حملي على الموافقة
او اقناعي باقناعه ، فاكتفي مكرها بأن اهز

رأسي بشكل غامض ، وانا ادعو الله في سري ان
تحمله محمل موافقتي على ما تريد .

وقد يعلمني تصرفك ان الجأ الى الكذب ، فاتظاهر
بالامعان في التطلع الى فمـــك واستجلاء مخارج
نطقك كي افهم حقيقة ما تريد قبل ان اصدر حكمي
الذي تتلهف عليه وتتمنى ان يكون موافقاً لرأيك
ولكنك لو علمت الحقيقة لادركت بانني اتشاغل
بهذه التمثيلية عن موضوعك ، وانني اصطنع الجمود
والاهتمام ، دون ان اهز رأسي او انبس ببنت شفة
عسى ان يمضي الوقت او تيأس من فهمي او تخطر
بذهنك فكرة جديدة او حجة اخرى تسارع الى
انهائها الى غريمك وتدعني وشأني .

اما اذا ألححت في التطلع الي ، واقتلاع الكلمة من بين
شفتي ، فانـــك بذلك ترغمني على اقتراف عيب
آخر قريب من الكذب ، وهو المراوغة ، والممالأة
والمماطلة ، ومحـاولة افتراض (الحلول الوسط)
وبيان توفر (حسن النية) من الطرفين وسلامة
قصدكما انتما الاثنين ، ووجاهة حجتكما معاً .. —
مع وجود (بعض الاختلاف في وجهات النظر —
التي يحسن ان تتفقا عليها حبياً فيما بينكما)



وهكذا تكون قد اضعت وقتك معي واحرجتني ،
وعلمتني على الخداع الرياء ، دون ان تظفر مني
بالموافقة الصريحة والسبب في ذلك بسيط : هوانني
لست مطلعاً على كنــــه الموضوع ، ولا يهمني ان
اطلع عليه ، بل لا يهمني شجاركما على الاطلاق.. انا
اكاد لا اعرفك ، واكاد لا يعنيني امرك ، وقــد
ضمنا المجلس صدفة ، واتيت انا الى المكان لقضاء
حاجة تعنيني ، وهي لا تعنيك ، فلم اتطفل عليك
ببسطها وطلب رأيك فيها ..
حول بصرك عني ، وكلمه هو ... أرجوك

زمامير دحروج

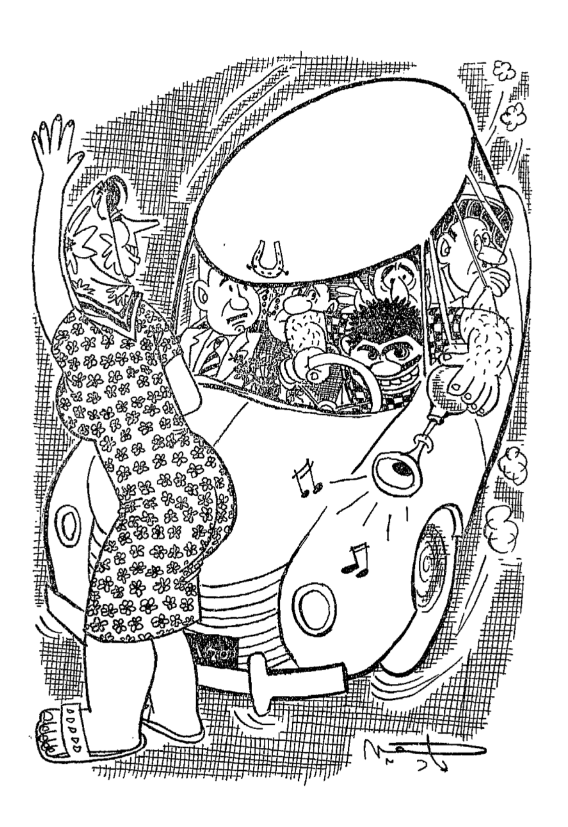
دحروج سائق التاكسي .. من من ابناء الحي لا يعرفه؟
ذلك الشاب الاسمر ، قصير القامة ، ذو الحاجبين
الكثيفين ، والعينين الصغيرتين الغائرتين والوجه
المستدير ، والانف الضخم الافطس . والشاربين
المتطاولين الى منتصف الوجنتين ، والشعر الاجعد
الفاحم الذي يحاول ان يتجاوز جلدة الرأس ،
ويبحث عن «مجاله الحيوي» على الجبهة فلا يترك
منهـــا سوى حيز ضيق ملىء بالحفر والاخاديد
والندوب والخدوش .

دحروج ، ذلك الشاب النزق ، ذو الحركات العفوية
العصبية ، والبذلة الكحلية التي تزيدقتامه قتاماً،
وكآبته كآبة . حرام عليك ان تراه يومـــاً
ضاحكاً ، وحرام عليه ان يعاملك يوماً بلطف ،

وحرام على اهل الحي ان يستريحوا من اصوات
زماميره ..
نعم زماميره بالجمع ...
الا تعلم ان دحروج هو من هواة الزمامير ؟
عنده زمور اجش الصوت ، وآخر مرعب صاعق ،
وثالث ناعم يكاد يكون موسيقياً ، ورابع رفيع
يخرق طبلة الاذن ، وخامس بصوت صفارة ،
وسادس يعزف الدوري مي فا .. و..و.. الخ..
آه ، نسيت ايضاً الزمور التقليدي القديم ذا الطابة
الكاوتشوك !

★

ودحروج يتفنن في ابراز ذوقه السقيم داخل سيارته ،
فهو يغطي النافذة الخلفية بستارين من المخمل ذي
الطراطير والدناديش ، وقد استحـــال لونها من
احمر الى ابيض قذر . ويعلق امامه آنيــة زهر
اختلط زهرها الاصطناعي مع عروق يابسة لازهار
حقيقية قديمة . وتدلى من المرآة «عنقود» من الخرز
الازرق والشبة دفعـــاً « لاصابة العين » ...
وهل هناك شيء يستحق أن تصيبه العين ؟!



وعلى مقدمة السيارة ثلاثة « بالونات » مع اشرطـــة
ملونة يؤرجحها الريح .

ويمضي دحروج بسيارته يسابق الزوابع ، ويطــارد
الشياطين ، ويعصف بمن حوله لا يلوي على شيء .
.. وتنخلع قلوب الركاب ، ويصيح صائح منهم :
« قف ، لقـــد وصلت » ، ولكنه لا يجيب ،
ويصيح آخر : « شو صاير عليك » ؟ ولا يجيب ،
ويشحب لون الثالث فيغور في مقعده مسلماً روحه
الى رحمة باريها ، وفجأة يشعر المساكين بهزة عنيفة
وبصوت الفرامل تستغيث وتولول ، وبالسيارة
تقف وكأنهـــا جبل يريد ان ينقض ، فتشرئب
اعناقهم وتشخص ابصارهم الى الخارج مستطلعين ،
فاذا بالغنوجة ماري صانعة الجيران تريد ان تمر في
الشارع ، واذا بوجه دحروج المقطب ينفرج عن
ثغرة جوفاء أرادها ان تكون ابتسامة واذا بصوته
القبيح يهتف : « أيش يا حلو » ؟

ولكنها لا تجيب الا بهزة من عطفيها المترهلين وبسمة
لعن الله من أوحى اليها بها ..

ولا ييأس دحروج من استهوائها فاذا بيديه تمتدان الى
الزمامير الواحد تلو الآخر ، وكأنه عامل لاسلكي

ماهر يتصل بسرعة البرق بين المتخاطبين في انحاء
الأرض بالضغط على الازرار او عـــالم في الرادار
يخترق باشعته حجب الفضاء .

لكنها لا ترد ، وهنا يهنأ الحاضرون بخطبة طويلةنضد
فيها دحروج جميع ابتكاراته ومحفوظاته من الشتائم
« الرفيعة » التي يزخر بهـــا « الأدب الشعبي »
اللبناني !

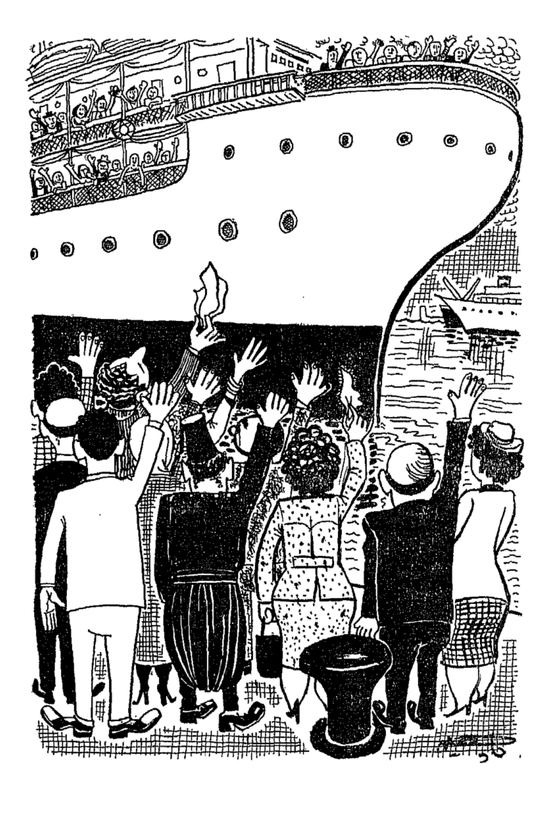
وتخرج من السيارة الى بيتك وقـــد صدعتك معادلة
تشبه معادلات الحساب والجبر :
سيارة تاكسي او سرفيس = زمامير وشتائم !!.

عندما تقلع الباخرة...

الباخرة مقلعة ، والمناديل البيضاء تتراقص ، والعيون
محمرة بآثار الدمع ، والثغور تفتر عن ابتسامات
غامضة لها الف تفسير .
والى الباخرة ينتقل خليط عجيب من الناس ، كل
واحد منهم يحمل معه قصة ...
بعضها انتهى، وبعضها الآخر ما هو الا حلقة في سلسلة..

*

هـــذا المهاجر الذي امضى الشهور الاخيرة يستعد
للسفر ، ويجمع اجرة الباخرة ، فيبيع حصصه من
عقارات يشترك فيها مع عائلته واخوته واعمامه
واخواله ، ويختلف معهم في تعيينها . هم يحرصون
على املاكهم من التشتت ، ولا يفرطون في حق



لهم او ما يرونه حقاً ،وهو يتهمهم بالجشع والطمع والتحكم بالضعيف ، وتشتد المناقشة وتحتدم ، ويتراشق الطرفان التهم والشتائم،ويعلق في القلب اكثر من اثر .. حتى اذا ما ازفت الساعة ، ودنا وقت الوداع ، انخرط الجميع في بكاء ، وانحنوا على بعضهم يتعانقون .. واخذت مناديلهم من ثم تتراقص ، وبدت على ثغورهم ابتسامات غامضة لها الف تفسير .



وهذا الطالب الذي يرحل لاول مرة الى اوروبا ، وقد كان خيال الرحلة يراود نفسه طيلة السنوات الطوال التي قضاها تحت وطأة المدرسة القاسية وفي كنف الاهل والعائلة الصارمة ...

لم يعد مضطراً الى النهوض من فراشه مبكراً كل يوم ليصل بالدقة في ساعة معينـة الى مدرسته ، ولم يعد يحس بثقل الواجب الدراسي اليومي ، ولن يتأفف بعـد اليوم من اوامر والده ، وتعنيفه المزعج ، ولا من عاطفة والدته المتأججة الـتي تفرض عليه التزام ما لا يلزم . ولن يحيط نفسه

بعد اليوم بالف حجاب وحجاب كلما ناداه منادي
جسده ومتعته .

بضعة ايام ، ويصبح طليقاً حراً ، يذاكر دروسه
عندما يحس بالرغبة في ذلك ، ويتناول طعامه
متى جاع لا عندما يجتمع افراد الاسرةعلى المائدة
في ساعةمعينة، وينام في اي وقتواينماوكيفماشاء،
ويتصل بمن يريد دون رقيب او حسيب، فيفرج
بذلك عن كبت طالما تململت منه نفسه الفتيةوضج
منه شبابه العارم العنيف .

واليوم اذ يتكيء برسغيه على حاجز الباخرة ، يذرف
دمع الأسف على كل ما فات : على الحرمان وعلى
فراق الحارمين ، على الكبت وعلى فراق الكابتين،
على الصرامة وعلى فراق الصارمين . . ويفتر ثغره
عن ابتسامة غامضة لها الف تفسير . .



العروسان اللذان يستقلان الباخرة لقضاء شهر العسل
يبدوان على رصيف المرفأ قد غمرتهما السعادة، وقد
يكون في قلب كل واحد منهما حيال الآخرالكثير
من الحذر والتحسب . هو لا يدري اذا كان قد
احسن صنعاً بربط مصيره وحريته بانسانة لم يعرفها

الا منذ شهور على الاكثر ، وهي تجفل ولو بصمت من رجل غريب ينتزعها من احضان عائلتها التي انشأتها وأغرقتها طوال عمرها بفيض من الحنان، وتتساءل بقلب واجف : ترى ما هو المصير .

اما المودعون من الاهل والاقارب، فليسوا اقل هوى وابسط اختلاجات منها . هذه العمة ما زالت حانقة على ابن اخيها الذي اختار تلك الفتاة الاخرى وآثرها على ابنتها التي كانت تعدها له منذ وقت طويل . وتلك الجارة « العزيزة » التي اتت من باب المجاملة للوداع ما تزال تغص اسى على ولدها الملتاع الذي كان يؤمل ان تكون العروسة من نصيبه ، فخاب امله وقبع في البيت حزيناً . وذلك العم الذي ثار لان تكاليف العرس والزواج كانت باهظة ، ولعن الساعة التي فكر بها ابن اخيه ان يتزوج فيرهق بذلك ميزانية امواله المشتركة مع اخيه والد الشاب . والأم التي ترى ولدها الذي استأثرت بحبه قد انتزعته من احضانها بنت غريبة تنتمي الى اسرة بل الى بلدة غريبة .والاب الذي جرحت كرامته لان عريس ابنته لم يوفه ما يطمع من احترام .. ومال .. والاخت التي تغار من اختها التي تتزوج رغم انها هي اكبر منها

سناً . . و . . و . . و . . وعندما تتحرك الباخرة
وترسل زعيقها الاجش ، تتحرك المناديل البيضاء
بدورها ولكن بدون صوت ولا زعيق ، لان
الحناجر يكون قد ارتج عليها ، وتفتر الثغور عن
ابتسامات غامضة لها الف تفسير .

*

اما المسافر الغريب المنفرد الذي يقبع في زاوية من
شرفة الباخرة يرقب تلك المناديل ويكتنفه سر
تلك الابتسامات فهو بدوره ينتقل من بلد الى
آخر ، ويقوم بالتجربة تلو التجربة ، ويتعلم من
الحياة اشياء تزيد في متعته وفلسفته ، ويبتسم في
سره ابتسامة ليس لها الا تفسير ..

«نكتجى»

هل هي كحة من سعال يرسلها مصاب بالازمة الصدرية؟
ام هي ضحكة فاحشة يطلقها حشاش استطاب
نكتة هو صاحبها فاستبق اليها السامعين ؟.
وهل هذا رغيف مرقوق يصادم بطنك وكأنه يستعجل
عليك الأكل من دون المرور بالبلعوم ؟..
ام هي يد ضخمة ممدودة تستصرخ ان تلطمها فترضي
غرور صاحبها وكأنك تؤكد له ان النكتة موفقة؟
وهل هذه ومضات قنديل سيارة تنبه من وراءها انها
تنوي اللف يميناً وشمالا ..
ام هي غمزات ماجنة يطلقها وكأنه يعتمد على ذكائك
في ادراك ان وراء هذه النكتة ما وراءها ..
وهل هذه قربة من جلد ماعز تترجرج امامك مترعة
بما في جوفها من سوائل ؟.



ام هو كرش متدل يتراقص بانسجام على توقيع
الضحكة ؟
ما هذا الألم الحاد الذي كدت تصرخ منه وهو
يعض زندك؟
هل هو اثر القرصة التي شاء ان يتحبب بها معك ،
وكأنه يهمزك ويهيجك على الضحك ؟
واخيراً ..
هذا المخلوق الذي يمور امامك ويتلوى ، هل هو ثور
يخور ويزمجر ويحقن بالدم اوداجه ، ام انسان
بشر يحاول ان يكون «عشريا» ممازحا متظارفا
متطارفا ؟

*

هذه اسئلة تطرحها على نفسك وانت في مجلس قد
عافته نفسك ، وملأ التقزز من جليسك كل
جوارحك ، وجاشت نفسك وارتج عليك وانت
لا تجد لهذه الغمرة نهاية ..
وتضطر ان تبتسم ...
فيتشجع ...
وتضطر ان تهز برأسك ...

فيظن انك فهمت واستسغت ..

واذا به ينتقل الى نكتة اخرى ، واذا بسلسلة السعال المتحشرج واليد الممدودة المتوسلة الى من يلطمها، والغمزة والهمزة والقرصـــة تعود لتمثل معك المسرحية من جديـــد وتهتف اخيراً في وجهه : « نكتتك بايخة »

فيزداد السعال – اعني الضحك - وتعلو الجلبة وتتصاعد الايدي وتتهاوى ، ويملأ الفخار اهابـــه ، فلقد افلح في ارسال نكتة « بايخـــة » وهذه ايضاً في نظره براعـــة تضاهي براعته في ارسال النكت الاخرى التي ظن انها موفقة .



ويمر عليك شهر من الزمن ، يقشعر بدنك خلاله ، كلما سمعت نكتة مهما كانت طريفة ، تزوى من بعيد .. ويصيبك منها الدوار ، وتغدو من ألد أعداء النكات .

عبوس وغباء

اسألوها بربكم ماذا دهاها.

ولماذا العبوس ، وفيم الاكتئاب ؟.

من الذي وخزها ؟ من الذي لمزها ؟ من الذي زحمها ودحمها ؟

لا أحد ؟

ما السر في نفورها اذن ؟ ومـــا الحكمة في قرفها ، وتلبد اساريرها ، واظلام وجهها ، وقتام طلتها ، واسوداد طلعتها ؟

يقبل عليها المقبلون ، وهي تنصرف وتزورّ..

ويتهافت عليها المتهافتون ، وهي تتأفف وتكفهر..

ويتملقها المتملقون ، وهي تمعن في عبوسها ونشوزها ،



وتواصل القرف و « التبويز » ..
لماذا ؟ اجل لماذا ؟

★

يجيبني على تساؤلي هذا احد أولئك المقبلين المتهافتين
المتملقين قـــائلاً : لا عجب في ذلك ، اليست
جميلة ؟.
فارثي له ، وارثي لها ..
واشفق على ساعات الحياة ان تمضي في الكآبة ..
واستضيع أويقات الهناء ان تمر في جو من « المقت »

★

ثم انثني الى هذه « الجميلة » اتأمل « حسنها » المزعوم
« وجمالها » الموهوم . فارى شعراً منتصباً مقبداً
أغبر اللون لم تنفع معه حيل « الكوافور »
وأحابيله ، فهو ما زال كشعر الماعز ..
وأرى عينين جاحظتين سمك جفناهما واحاطتهما حلقة
سوداء ، واحتضنهما واسندهما جبينان ازرقان ..
وأرى خدين نتأت عظمتاهما ، وبشرة اختلط اسمرار
شمس « البلاج » فيها بشحوب ابهر ابسر ..

وأرى جسداً مليئاً بالزوايا الحادة .. منها الاصطناعي
ومنها ما ليس في موضعه ، ولا يعبر عن اي قاعدة
من قواعد الجمال ...

والمح من تحت الابطين هالتين كبيرتين مبللتين ، تزينان
دائرتي الكمين «الجابونيز» ... فاسرع والوي عنقي
مبتعداً بانفي عما تنفثان ...

واقول في نفسي ... ربما كان المخبر خيرا من المظهر ،
فاجتهد في استقصاء حديثها، وفي انتظار كلامها...
ولكن هيهات ...

اليست امينة على مبدأ العبوس ؟
اليست مخلصة لنظرية « التبويز » ؟
اليست محافظة على قاعدة الاشمئزاز والسكوت ،
كيف يتسنى لي اذن ان استمع الى حديثها ،
فأحكم عليها ؟...



واخيراً يسعفني حظي فتنطق ...
وليتها لم تنطق ...
اللهجة بدائية ... جبلية ؟ بلدية ؟ لم اعد ادري ،

ولم تعد هي تعلم . كل ما توصل اليه حتى ادراكها
انها لهجة سمجة ، فاذا بها تتذرع لتغطيها ببعض
المفردات والعبارات الانجليزية او الفرنسية التي
غالباً ما تكون في غير موضعهـــا وبعيدة عن
الاسلوب الصحيح للنطق بها ..

.وموضوع الحديث ... تأفف من الضجر التي تفتخر
بانها تعانيه ، ولعله ضجر من خلو نفسها ، وملل
من فراغ معينها ، وقلق لطول انتظارها لوناً
مجهولا لديها من المتعة ...

.انها تبحث عن شيء ، ولا تملك عناصر الوصول اليه ،
لا تملك الشخصية ، ولا الحافز ولا البراعة ..
رأس مالها كونها فتاة وهذا لا يكفي ...وحظها
انه يتاح لها ان تغشى المجتمعات ، وهذا من شأنه
ان يلقي بهـــا في ميدان ليست اهلا له ولا
مجلية فيه ..

.ما حيلتها اذن ؟

.ليس اجدى عندها من تقطيب الوجه وارسال زفرات
القرف في وجه هذا وذاك ، فتقول لهذا بدلال
الدب : « ما اثقلك » ، وتهتف امام ذاك الذي
يحاول مداعبتها وهي لا تفقه دعابته : «بايخة...

فتش عن غيرها» ... ولو انصف هو لفتش عن
غير هذه الفتاة ...

*

وأحول بصري صوب المحيطين بها ، المسبحين بآلائها
المبتهلين الى عليائها ..
.. اولئك اللاهثين ..
.. الذين جف ريقهم من كثرة ما سال ..
.. وتقطعت انفاسهم من فرط ما تلاحقت ..
مساكين هؤلاء ..
ترى هل المسألة مسألة ذوق ؟
أم حرمان ؟
أم غباء !
اجل انه الغباء .. غباؤهم وغباؤها ..

مأساة في شارع الحمراء

امر بها كل يوم ، فالتفت اليها واتأملهـــا هنيهة ، ثم اتحول عنها وانا اهز الرأس آسفاً مشفقاً .

مضى عليها عامان او اكثر ، وحالتها تسوء يوماً بعد يوم وجسدها يذوي وهيكلها يتهدم ، وروحها فاضت منذ زمن بعيد وصعدت الى بارئها تشكو ظلم الانسان واهماله واستهتاره .

أودعها صاحبها على قارعة الطريق ، وانصرف عنها بعد ان وعدها بالعودة فانتظرتــه طويلا وهي صابرة لا تئن ولا تشكو ، وبرح بها الانتظـــار وجارت عليها عاديات الزمان واعتدى عليهابعض من شاهدها ، واغتنم فرصة انفرادهـا ووحدتها ، وضعفها واستكانتها، فاعمل فيها مخالبه ، واستلبها أعز ما تملك ، وتركها جسماً بـلا روح ، وطللاً



بعد عمران ، وجفافاً بعد الينعاة والازدهار .

وبدت عليهـــا علامات الارهاق والانهاك ، وشحب لونها واستحال الى الوان ، ثم بهتت الالوان . ولم تعد تقوى على الوقوف على رجليها فخرت جاثمة على الأرض ، وتوالت من بعد ذلك عليها الاشهر والسنون ، فعلاها صدأ الحياة ، وتراكم عليهـــا غبار الدنيا واقذار الناس واتربة المكان .

وكم مر الغادون والرائحون دون ان يحفلوا بها ، او يلتفتوا اليها ، او يتساءلوا ما خطبها وما شأنهـا وكيف تركت وحيدة ضعيفة لا يحن اليها انسان ولا يدافع عنها من اطماع المعتدين بشر .

هذه البائسة اليائسة الهزيلة الشائخة ، من هي ، مـا هي ، ماذا هي ؟!..

هي سيارة ..

لونها كان اخضر ، وجنسها كان ستوديباكر ، ورقمها كان معلقاً بها ، لكنه ذهب فيما ذهب من اجزاء .

كان صاحبها يقودها منذ سنتين او اكثر ويطوف بها ارجاء البلاد، يتذوق المتعة ويقضي الحاجة ويروح عن البال . وكم لاقت في داخلها من مباهج ، وكم مرت بمفاتن ، وكم عبرت مجالي وكم صعدت جبـالا

وكم انحدرت في اودية ، ثم قضى الزمان على صاحبها
في ساعة غفلة ان يتخلى عنها ، فلم يعلمها بالامر ،
ولم يرد ان يقلقها ، فقصد بها الى شارع الحمرا ،
وهو من ارقى شوارع المدينة ، وكأنه خشي عليها
من السأم فاختارلها شارعاً مكتظاًبالابنية والمارة،
انيقاًبالبنايات والسكان، فمضىبها الى هناك واوقفها
بمحاذاة الرصيف ، تماماً كما يفعل غيره من اصحاب
السيارات ، ونزل منها على عادته هادئاً مطمئناً ،
فأقفل ابوابها كما يفعل كل حريص على سيارته ،
وغادرها وكأنه سيعود بعد ساعة او بضع
ساعة ... ثم اقسم ان لا يعود .

وكأني به اليوم يعيش في مأساة ، وقد تكون مأساته
اعظم هولا من مأساة سيارته ، والا لماذا لم يعد
اليها ؟ وقد كانت حين غادرها مليئة بالحياة ،
قادرة على السعي والسير ، خليقة بان تباع وتشترى!

وحتى اليوم ، تأتي السيارات في كل ساعة من ساعات
الليل والنهار فتصطف خلف هذه السيارة
وامامها ، ثم تغادر المكان ويأتي غيرها .. وقد
لا يكون احد قد شعر بانها ما تزال قابعة منذ
سنتين ، وقد يكون لكل امرىء عذره في ذلك،

فمشاغل الناس كثيرة ، وهي ليست من البشر
حتى يتحدث عنها الناس في مجالسهم ،ويستغيبوها
في اجتماعاتهم ، ويتنـــدروا ويتضاحكوا حول
مصيبتها ومأساتها في اسمارهم .

للناس العذر كل العذر . .اما رجال السير والمسؤولون
عن النظافة والجمال في هذا البلد .. فما هو عذرهم
في ترك المأساة مستمرة في شارع هو ملء السمع
والبصر في المدينة الممتازة .

عبقري ... غصبا عنه

لماذا الابتسام ؟ انه ينتقص من الجدية ، ويشين المهابة، ويذهب بالوقار .

لماذا الحماسة ؟ انها تبعد صاحبها عن الرصانة العلمية ، والرزانة الشخصية ، والكمال الاجتماعي .

لماذا المعاشرة ؟ انها تنتهك ساعات الخلوة ، وتنتهب اويقات الوحدة ، وتستنزف فترات التأمـــل والمطالعة ..

هكذا يخيل لكل من يراه انه يفكر بينه وبين نفسه.

انه وجه معروف من وجوه مجتمعنــا ، وهو من أهل العلم المتقنين ومن ابناء الاسر العريقة . لكنه جامد الوجه ، كئيب النظرات . شفتاه قد اعتراهمـا الارتخاء ، وقامته اصيبت بالانحناء. يحسن اختيار ملابسه ، ولكنه يهملها على نفسه ، فالسروال لم

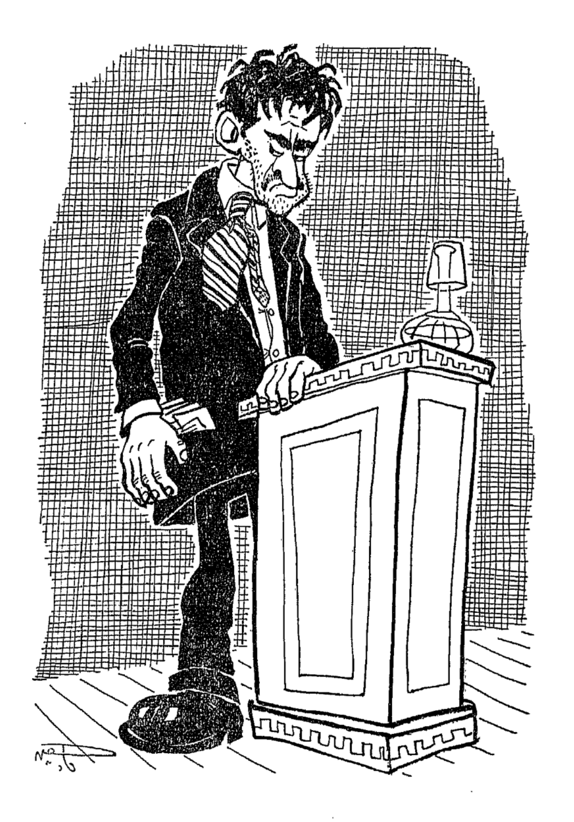
يعرف دفء المكواة منذ زمن بعيد ، والسترة قد
انتفخت جيوبها من الاوراق المهملة ، والياقـة لم
تهتد بعد الى موقعها حول الرقبة ، ورباطهـا ثائر
هنا وهناك ، وله من كل اكلة يتناولها صاحبنـا
اكثر من نصيب .

وينظر يمنـــة ويسرة ليطمئن الى نظرات المراقبين ،
فيراهم قد آمنوا بان حركاته ومظهره لا تنم الا عن
شرود العالم واهمال المترفع عن سفاسف الدنيا ..
فتقر عينه .

ذهبت في احد الايام لاستمع الى محاضرة يلقيهـــا .
وطال انتظار الحاضرين ، وظنوا انه لم يحضر بعد ،
بل لعله نسي موعد محاضرته ، وله في هذا العذر ،
أليس هذا السهو خليقاً بالعلماء المفكرين ؟

وكان في الحقيقة جالساً في غرفـــة مجاورة ، مرتخي
الاطراف ، مطأطىء الرأس كأنه اصيب بالخدر
الشديد . ثم يزداد عليه الحاح منظمي المحاضرة ،
فيقوم متثاقلا ، ويتقدم متباطئاً ، وينكس
بصره بالارض ... فيدوي المكان بالتصفيق ،
وكأن القوم يهتفون في سرهم : يحيا التواضع !

ويقف امام المنصة هادئاً صامتاً ، لا يرد على الحاضرين



بتحية ، ولا بانحناء ، ولا حتى بالنظر اليهم . وتتدلى شفته ، ويزداد تقطيبه ، وكأنه في سبات عميق من الاستغراق والتفكير ، ويخيل للجميع ان هناك امراً جللا ، او ان المحاضر سوف يلقي ارتجالا فهو يستجمع شتات ذهنه .. ويطول الصمت ...

وتهدأ الحركة بين الحاضرين ، ويسود المكان جو من الخشوع ، وتنحبس الانفاس ،ويكف حتى السعال. ثم تبدأ بعد لاي رحلة بطيئة «متزنة» تقوم بها يده في ارجاء جيوبه التسعة الرئيسية ، بحثاً عن الاوراق التي كتب عليها المحاضرة !

والله العظيم انه يعرف اين وضع الاوراق ! ولكنه يتكلف النسيان . ليدلل على مدى استخفافه بانه خطيب ، وكانه يحمل الناس حملا على تقدير سهومه ، وكانه يتوسل اليهم قائلاً « انظروا ... اني شارد متواضع ! »

بين نارين

نصاب آفاق دمه خفيف ...
وخلوق متزمت دمه ثقيل ...
ايهما تعاشر ؟!
الاول يمرح في الدنيا ، ويزيل الكرب عن
المهجة ، ويروي القصص الكاذبة باسلوب
شيق سائغ ، ويبتكر النكتة الرقيقة العميقة ..
والثاني استاذ في العبوس ، يتحرى الحقيقة الدقيقة...
ولا يقول غيرها . تكثر في حديثه كلمات « يجب
وينبغي » واذا بدأ الكلام لا يمضي فيه الا متأنياً
متمهلا ، ولا ينتهي منه الا بعد ان تكون روحك
قد كادت تفيض .

ايهما تعاشر ؟!

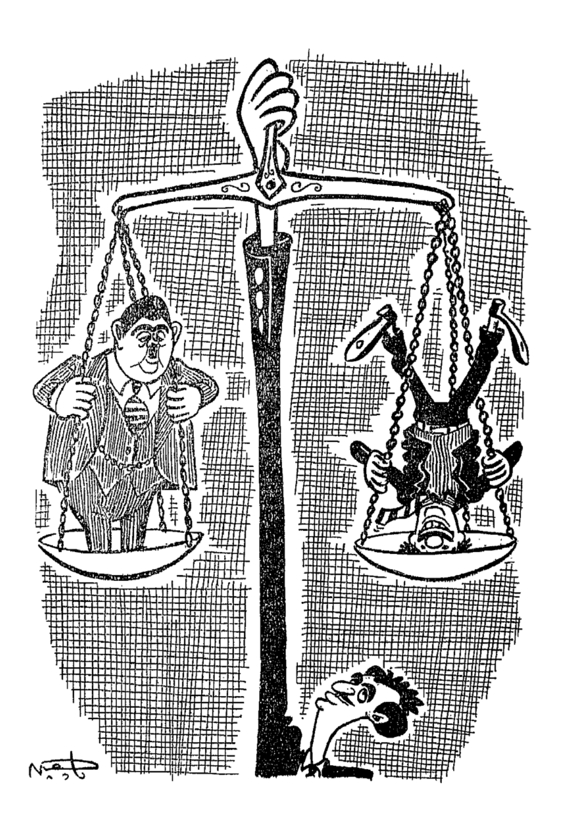
الاول قصير نحيل ، عيناه جاحظتان ، وخـــداه

مقعران .. وشعره يصب كالشلال على جبهته . يقفز حولك من هنا وهنـــاك ، ويصخب في ضحكته ويشفعها بصفعة يد على يد . وهو يدخلك بضجيجه في عالم الدوخة ، ويستغل الفرصة ، فيقترض منك المال ، وهيهـــات ان تسترده ولو بشق النفس . فاذا الححت ولاحقت وهددت ، بحث على مصيبة يرميك بها ، واستعان بذكائه الحاد ليكشف للناس عمـــا تحب ان تخفي ... فترهب ، وتقنط وتسكت ... وفي قلبك غيظ. ثم يعود مفتشاً عن غاية ترضيك ، او عن حاجة تسليك .. فيتوسل ويتلوى ، ويلح عليـــك بالاستجابة ، لتضعف وتقبل وتخوض معه الغمار، وانت تبتسم رغماً عن قرارك السابق بالمقاطعة ، وتهز رأسك وتحول عنقك ، وتقول في سرك « لعنة الله عليه .. دمه خفيف » .



والثاني عريض بدين ، ثلاثة اشياء تلمع فيه : صلعته، والغمزة في اسفل ذقنه ، والسلسلة الذهبية الواصلة ما بين جيب وجيب في صدريته !

وثلاثة اشياء لا تلمع فيه : ذهنه ، وعيناه ..



ومحفظته . انه يحدثك عن فوائد الاتزان ،
ويطيل الشرح عن غلاء الاسعار في هـــذه
الايام ، وعن الخضار واللحم والفحم ، وعن احد
معارفه الذي اصيب بالقرحة ، وعن المجـاعة في
التيبت ، وعن الكوارث التي تلحقها الاختراعات
والمفاهيم الماديـــة في اخلاق اهل العصر ، وعن
التهتك الذي طغى على نسائنا . وهو من ثم خبير
بكل شيء: بتربية الدواجن ، واصلاح الساعات
وبشؤون المطبخ ، وبالتنبؤات الجوية ، وبالدكاكين
التي تبيع سلعاً ارخص من غيرها ... وكل هذه
بلا ريب مواضيع تهمك كثيراً كثيراً !!

وهو الى جانب ذلك يحافظ على مواعيده ، يصل في
الوقت المضروب لا يستقدم دقيقة ولا يستأخرها،
يشرب الشاي في الساعة الخامسة ، ويذهب لزيارة
اقاربه كل يوم خميس .

ثم انه حريص على الدرهم لا ينفق نقداً الا بعد درس
وتمعن ، ولا يضع قرشاً الا في موضعه ، ولا يقبل
دعوة لطعام خشية ان يضطر بـدوره الى دعوة
الناس .

لكنه «خدوم» ، يسارع الى اســداء المعونة لك ،

ويفكر في شؤونك وشجونك ولو في غيابك ،
ويبحث لك عن حلول لمعضلاتك ، ويتدخل
لمصلحتك لدى الآخرين .. يقوم بكل هــــذا
باندفاع المخلص ، وبصمت المحب الصادق ...
هذان المخلوقان .. ايهما تعاشر ؟ اختر لنفســـك ما
يحلو ، واني استحلفك ان تختار الاثنين ، وتريحني
منهما ، فأنا افضل العزلة والوحدة ، على الوقوع
بين براثن الاول ونذالته ، وسماجة الثاني ومــا
يبعثه في نفسي من ملل ...

بديهي افندي ..

يا ناس ، لم يعد عندنا وقت للاستماع الى تفاصيلكم ،
اوجزوا واقتضبوا بالله عليكم ...

يا ناس ، هل تظنوننا اغبياء الى هذا الحد ، او جهلة
الى هذا المدى ، والله اننا قد ذهبنا الى مدارس
وتلقينا على الاقل مبادىء العلوم ، فلا حاجة الى
استعراضها ثانية ...

يا ناس ، ارحموا اعصابنا ، واحترموا معلوماتنا ،
وثقوا بالقدر الكافي من ذكائنا ، وكفاكم شروحاً
وبديهيات .

ثم هناك رجاء آخر ،

لا تفرضوا انفسكم واحاديثكم علينا ، ولا تغضبوا ان
لم ننصت الى اسهابكم في مبادىء نعرفها ، ولا



تضطرونا الى اظهار امتعاضنا، ولا تتهمونا على ذلك
بقلة الادب .

*

ذهبت يوماً الى احد «كبار الموظفين» اسأله رأيه في
قضية تهمني ، واطلب منه ان يفيدني في الخطوات
التي يتعين علي ان اقوم بها كي اصل الى مأربي
في القضية ...
بدأت بشرح الموضوع ،
ولكنه لم يمهلني لافرغ من سرد النقاط الهامة ، بل
قاطعني وكأنه فهم كل شيء . وكأنه اراد ان
يفهمني ان «التفاصيل» التي اقدمها له لا ضرورة
لها ، لانه « يفهم على الطائر » ، وكانت النتيجة
ان طار صبري وطار صوابي وطارت اعصابي
وطار الوقت .
اخذ يتكلم ببطء ، وكأنه يزن كل كلمة قبل ان ينطق
بها . وكأن جبينه المقطب وعينيه المطبقتين نصف
اطباقة ، وشفتيه المزمومتين بما يشبه الرغبة في
اتقان القول تخفي وراءها فكراً يعمل ونباهة
تلمع ، وحكمة تسطع .
وطفق يسرد لي ذكرياته ويستعيد تاريخ الخليقة حتى

خشيت ان يعود بنا الى جدنا آدم ، ثم يسهب في
التدليل على مكانته البارزة في الشأن الذي اتيت
من اجله ، ومعرفته الثاقبة في « السبيل الطويل
الشاق الوحيد الذي ينبغي ان اسلكه لبلوغ المراد ».
وكلما قاطعته مسرعاً للتعرف على هـــذا « السبيل
الطويل الشاق الوحيد» حدجني بنظرة التبرم من
تسرعي او السخط على خرق الاحترام الكلي
لوقاره الافخم .
واغتنمت فرصة انشغاله بمحادثة هاتفية قطعت عليه
حبل محاضرته الوئيدة المتأنية التافهة ، واختفيت
عبر بابه الفخم ملتجئاً الى احد « الموظفين
الصغار » الاذكياء ، قضى لي حاجتي في الحال ،
ووفر علي عنـــاء احتمال الموظف الكبير ،
بديهي افندي .



وهناك صديق قديم للاسرة ، اعتاد ان يشرفنـــا
بالزيارة بين الحين والحين ، حاملا الينا اسطوانة
لا يمل ترددادها من النصائح والارشادات .
تراه مثلا يبدأ الحديث — وهو يفرض عليك الانصات
فرضاً — بوصف تجاربه في هذه الحياة ، وكأن

كل يوم مر به كان يخوض فيه عمار معركة من معارك القدر ، وكأنه في كل يوم يخرج من المعمعة لكي يفضي الينا بعصارة تجاربه القيمة النفيسة .

فمثلا يطرق برأسه برهة ، وكأن كل جوارحه تأمر الحاضرين بالتطلع اليه بأعين جاحظة مستفسرة ، وبالمحافظة على السكون الرهيب ، ثم يرفع رأسه بتثاقل ، وينطق بصوت كأنه خارج من الاعماق واذا بالحكم تنثال كأنها الدراري الغوال وهي كلها من طراز :

« الحقيقة ان من واجب الانسان ان يعتني بصحته » ويعود السكون يخيم على القاعة ، حتى يتيسر للمستمعين التمعن في هذه الحكمة الغالية .

او :

« ان في الاتحاد قوة ، ويجب على بلادنا ان تتحد حتى تواجه الحياة »

ويتطلع الى رؤوسنا مستصرخاً ان تهتز ،وعلى شفاهنا مستنفرا ان تطرقع علامة الاعجاب بما «تفرد» في الطلوع على الملأ به ...

اما انا ، فلم اعد اطيق ان استقبل او اجالس صديق

العائلة ، التقليدي ، بديهي افندي ...

*

ولي زميل اتفق له ان قام بزيارة اوروبا لمدة شهرين ، ولما عاد امضى سنة كاملة في التحدث عن رحلته ومشاهداته ..

وليس في هذا اي غضاضة ..

انما الشيء الذي يقلق ويغيظ ، هو ان يسرد لك معلومات كنت قد تعلمتها في الصفوف الابتدائية في المدرسة ، دون ان يأتي على ذكر ما يفترض ان اكتسبه من معلومات وما قام به من مشاهدات خاصة طريفة .

تراه مثلا يقول :

« ان الشعب الايطالي ميـال الى الفن والموسيقى والتصوير والنحت » ويسكت ..

او

« ان الشعب الالماني شديد المراس ، جدي يحب الانضباط »

او

« ان باريس مليئة بالملاهي وفيها برج ايفل » ..

او

« هل تعلمون ان في سويسرا مناظر خلابة ؟ »

وهو يفترض في المستمعين الجهل التام ، والغباء المستحكم . ولا يريد ان يعترف بانهم مطلعون على معلوماته القيمة منذ زمن بعيد ويدهش لك حين تبذل الجهد الجهيد لاستلفات نظره والافلاح في اكتساب انصاته لحظة واحدة لتفهمه بانك عليم بما يقول :

اليس من الاوفق ان لا تستمع اطلاقاً الى هذا الزميل ، بديهي افندي ؟

النعسانون

كان بالامكان ان اهزأ بهم واضحك منهم حتىاستلقي
على ظهري ، ولكنهم كثروا حتى سدوا المنافذ،
واختلطوا بمن اختلط بهم فلم اضمر حيالهم سوى
السأم والاشمئزاز .

وكان بالامكان ان اسلط عليهم لساني ، وان افضي
اليهم بكل ما اظنه فيهم ، وهو شيء قد يندى
له جبين كل من يدعي انه انسان . ولكنني قررت
في النهاية ان لا اغشهم بكلامي فيظنون ان لهم
عندي او عند غيري شيئاً من اهمية .

يدخلون على مجلسك وقد قطبوا الجبين وشدوا اوتار
الخدود ، وارخوا الاجفان على اعين جاحظة
تحتضنها الجيوب الزرقاء ، وقد شفعوا كآبة
تقاطيع الوجه بتكشيرة من استصبح بجنازة ،

ويقرف من شم رائحة كريهة .

ويمرون ، وكأن مرورهم حادثة ، وكأن الهواء سوف يفتح ذراعيه ليتلقاهم ، ثم انهم يستدعون الاعين ان تحف بهم والتهيب ان يتسمر على حركاتهم البطيئة المتثاقلة المتعاظمة .

اتركوهم لا تقلقوا راحتهم ، ولا تصدعوهم بالثرثرة .. لقد كانوا بالامس سهرانين .

هم يمضون الليل يعاقرون بنت الدن ، ويعاشرون بنت الحان ، وانت تقضي هزيعا من ليلك في متعة المطالعة ، او شغف الكتابة ، او لذة الاجتماع الى الصحب ، والمنادمة المليئة بالطرف والفوائد .

وانهم حين يتصورون ما انت فاعـــل في ليلك لا يلبثون ان يهزوا اكتفاهم اشمئزازاً من غباوتك وسذاجتك وترتسم على شدقهم ابتسامة صفراء تعبر عن استعلائهم عن «تفاهة» ما يهمك «وضآلة شأن » ما بين يديك من عمل او هواية .

وغالباً ما يفتعل هؤلاء الاناقة ، وكثيراً ما يقفون الساعات الطويلة امام المرآة يحاولون بعقاقيرهم ان يصلحوا ما افسد الدهر ، ثم يرتدون الساطع اللامع ، ويطلون عليك في منتداك ، وكأن



محمل الحج يتهادى او الطاووس يتبختر .

وكأنهم يحسون في بعض الوقت بان تصرفهم يحمل الكثير من المبالغة ، وان لباسهم يجر الكثير من الفضول ، ويرسم على ثغر مشاهديهم شبه ابتسامة لا تتضمن في مضمونها اي اثر من آثار الاحترام .

فاذا احسوا بكل هذا تراهم يمعنون في تقطيب الحاجبين واتخاذ شكل القرفان .. كمن يقول لك: انا فوق الانتقاد ، ومن تكون انت حتى تتجرأ فتنظر الي بهذا الحذر ؟

لطيف بلا عاطفة

تركت الابتسامة الدائمة آثاراً على وجهه . وتشكلت
مجموعتان من الخطوط المنفرجة كأنها مروحة عند
طرفي عينيه . وارتفع كرسيان على اعلى خديه .
وتكوز فمه واستدارت شفتاه ، وغدت هذه
سحنته التي اعتاد عليها عشراؤه .

وقال جميعهم عنه : « كم هو بشوش لطيف !»

انه ضئيل الجسم نحيل القوام ، انفه دقيق طويل ،
واطرافه قصيرة . وهو مفرط في الاناقة ، لامع
الشعر والحـــذاء ، قبته منشاة صلبة ، وقامته
ايضاً كذلك ! .

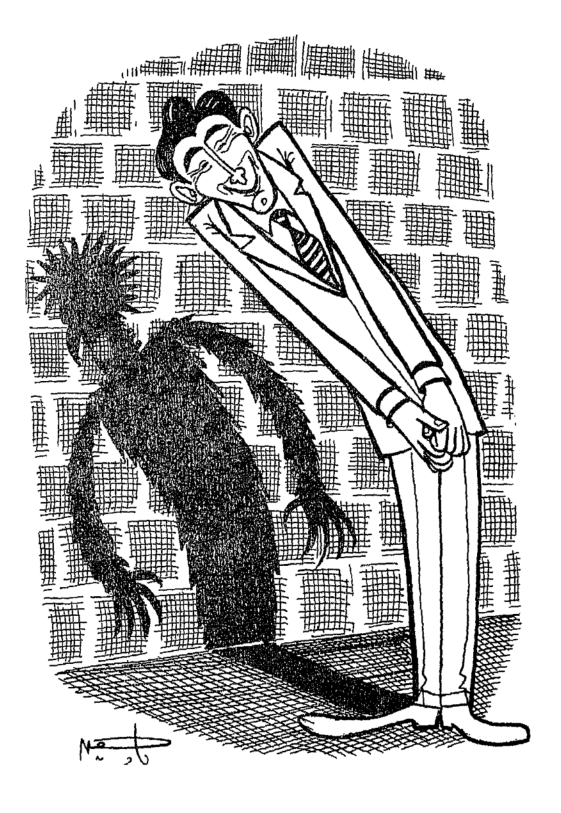
لا يقابل احداً الا ويهرع اليه مصافحاً ، وما يكاد
يفارقه حتى يسدل الستار على ابتسامته .

خفيف الحركة ، محمر الوجنتين ، يقفز من هنا الى

هنالك وكأنه صبي غرير مندمج في لعبة «الاستغماية»
وكنت اوجس منه ولا اطمئن اليه ، ويقشعر بدني
من ملمسه الناعم .

وكم كنت اشمئز من ضحكته المقاربة للقهقهة عندما
اطالعه بالعبارة التقليدية : «مرحباً ، كيف الحال».
فيبدو وكأنه في اوج السعادة لاهتمامي « الخاص »
بامره ، ثم اذا ادليت اليه بملاحظة لم يفهمها لان
ذهنه يكون في تلك اللحظة شارداً ، يضحك ،
ويعتبر اني القيت نكتة موفقة !

وجاء يوم ، رأيته فيه عارياً من قشيب لطفه، متخلياً
عن مقيت ابتسامته ، طارحاً لين ملمسه ، ملقياً
قنـــاع بشاشته . وكان في معركة – من طرف
واحد – بينه وبين احد الضعفاء من مرؤوسيه .
فبدا وكأنه استجمع كبت الصراحة المثقل كتفيه
طيلة قرون، وانطلق منه يريد الانتقام والتشفي .
وكان ينهال بالفاظ السباب المقذع والشتـــائم
الرخيصة لا يبقي منها ولا يذر . وكأنه يقول في
نفسه : انا لئيم وليكن ما يكون ، انا ضعيف
حيال الاقوياء مستأسد امام الضعفاء وليكن ما
يكون ، ان ضحكي عصبي وبشاشتي زائفـــة



وابتسامتي غادرة خائنة وليكن ما يكون ،
ان غاياتي اسعى اليها واتوسل بحقير العمل ورذيل
الزلفى وبغيض اللطف من اجلها ... وليكن
ما يكون .

واذا به لا يعرف العاطفة ، ولا يقدر الاخلاص ،
ولا يفهم الشفقة ، ولا يحترم الرحمة ...

وسئلت عنه يوماً من احد الاغبياء فاقتضبت الاجابة
خوفاً من عدم الفهم وقلت بايجاز : « انه لطيف
ولكن بلا عاطفة » .

مؤتمر الخطايا السبع المميتة

محضر رمزي لاحدى جلسات المؤتمر

انا انسان كباقي البشر ، اتفوق على ابناء جنسي في صفات وخصائل واهوي دونهم في ميزات ومناقب ، فليس من احد احسن مني ، ولست احسن من احد .انني كغيري عرضة لنمو الرذائل في نفسي ومن خلال اعمالي ، وكأنني ارض خصبة لا ينقصها الا المطر حتى تنبت وكأنني لا ينقصني سوى الظرف الذي هو بمثابة المطر ، حتى انبت وفقاً لطبيعته الورد والريحان ، او الشوك والعوسج .

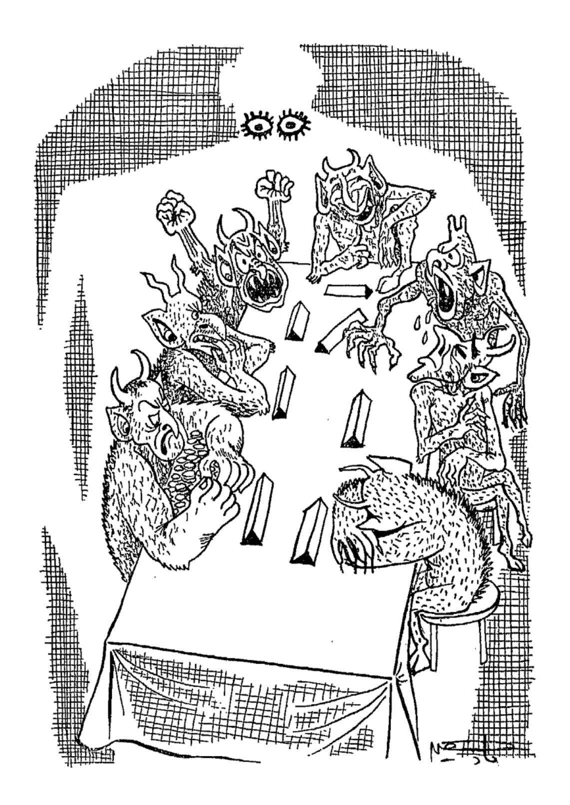
ان جراثيم الرذيلة تغلي وتغور في كياني فاتغلب عليها في كثير من الاحيان ، بيد انها تطفو على سطحي

وتتوالد وتنمو في احيـــان أخر ، ولكم ارثي
لجاري الذي يتفكه ويتندر على رذائلي الظاهرة،
انه غشيم جاهل لم يكتشف سواها ، وان منها
ما خفي وهو اعظم ، وان منها رذائله هو وهي
افدح ، وان منها مجموعة رذائل البشر انهـــا
مصيبة الدهر .. لا بل سبب الوجود وعلة البقاء
وسمة الانسان ، ومبتداه ومنتهاه .. فلا تعجب
يا جاري لرذائلي واحتسب منها المزيد ، لانني
انا لن استغرب منك اي عمل تواضع المجتمع على
نعته بالرذيل ، لانك من طينة البشر .

وفي زاوية متوارية دفينة من ادغال نفسي ، عقد عدد
من كبريات رذائلي مؤتمراً للمناقشة والمفاخرة ،
ودخلت الى اعماقي ارقب واستمع .. وادون
محضراً للاجتماع :

الزمان : بعد منتصف ليل نفسي وقد آوى ضميري
الى الفراش واطبق وازعي الخلقي اجفانه واستسلم
للكرى ، وغرق رصيد تربية طفولتي في غيبوبة
عميقة من الخدر .

المكان : مكان بعيـــد عن رأسي وقلبي ومواضع
الرغبات والشهوات في جسدي ، وذلك توخياً



لمعالجة المواضيع دون تحيز ، ودون حصول اي تأثرات اخرى .

الحاضرون : السادة مع حفظ الالقاب : التكبر ، الغضب، الحسد، الفسق، الشره، الكسل، البخل.

الغائبون : جميع الجلاوزة ، ورجال الامن وشرطة الاخـــلاق والوعاظ ورجال الدين والتشريع والقانون .

زائرون مستمعون : سفير الشيطان ، ممثل عن نقابة اصحاب الكباريهات وامكنة الفحشاء ،وموردي السجون ووزير جهنم المفوض .

افتتحت الجلسة ووافق الحاضرون على عدم قراءة محضر الجلسة السابقة ، لان نسيان الموبقـات والخطايا او تناسيها وعدم اعادة ذكرها يزيد من التلذذ بها ويبعد القلق من احتمال عودة الضمير المؤنب .

وابتدأ « التكبر » بالكلام ، فشمخ بانفه واستعلى ، وحول بصره عن الحاضرين استخفافاً بهم ،وقال، وكأنه يحدث نفسه :

انا اكرمكم محتداً وانبلكم اصلا واعرقكم حسبـــاً وامتنكم نسباً انا الذي ارفع صاحبي بين الناس واميز قدره في المحافل ، واجله بالمهابـــة في

المنتديات ، واخفي غباءه قبل ان ينفضح . انا
رئيسكم الاعلى انا السيد ، وانتم العبيد .
فاستشاط « الغضب » غضباً ، ولم يستطع ان يحتمل
استرسال التكبر في عنجهيته او يصبر على ما
يؤذي سمعته ، فجلجل صوته العنيف في اركان
المكان ، وصرخ صرخة هستيرية تزعزع لهـــا
البنيان ، وزعق في وجه التكبر قائلا : ايهـا
البغل السخيف ، اتظن ان امر صاحبك فيك
يخفى على الناس ؟ الا تعلم ان الاذكياء يسارعون
بالحكم على المتغطرس انه فارغ تافه ؟ وان عشرته
ومجالسته سقيمة سمجة ؟ انا الذي انجز اعمال
صاحبي ، وانا الذي اجعله مرهوباً محترماً ، وانا
الذي اخفي جهله بعصبيتي ، واستر خطـــأه
بصياحي ، واجعل الناس يعذرونه ويتفادونه ولا
يأخذون عليه زلاته ، مهما بطش ، ومهما هدم
ومهما اساء ، اذ يقولون : لا بأس ، انه عصبي .
وفي هذه الاثناء ، كان «الحسد» قابعاً في احدى الزوايا
يأكل بعضه بعضاً ، ينظر الى المساجلة بعينين
حمراوين محمومتين ، ويزداد شحوباً وهزالا كلما
امعن المتحدثان بالكلام ويقول في نفسه :
آه لو كان عندي قامة «التكبر» وخيلاؤه ، وعضلات

«الغضب» وقوته وجبروته، يا رب هل كتب علي
ان ابقى مستضعفاً صامتاً مكبوتاً ، ارى الخير
يتدفق على الناس فاصاب بطعنات أليمة ، ولا
املك لها دفعاً او رداً ؟ حتى صاحبي .. فاني
احسده ، انا اعطيه كل شيء ، وهو لا يعطيني
شيئاً ، بل لا يعترف بوجودي ولا يقر بفضلي .
انا الذي احفزه على العمل ، وانا الذي استنفره
الى النضال في سبيل بلوغ الغايات التي بلغها غيره،
بل واختطافها احياناً من بين ايدي الغير ،فاسهل
له الجريمة والغيبة والنميمة ، وازين له ان كل ما
على غيره لا يليق الا به ، وادفعه الى الغنائم .
لكنه هو – لا سامحه الله – يسمع مني وينفذ
ولا يقول شكراً ، بل يعزو اعماله تارة الى الطموح
الفردي البناء ، وتارة الى الوطنية وابتغاء المصلحة
العامة ، وتارة الى الحاجة التي تسوغ الجريمة ،
وتارة نراه يتحايل على الالفاظ ويلبس رداء الخبث
ويحاول ان يخدعني انا ، تصوروا .. يخدعني انا ،
ويقول : انا «اغبط» : فلانا ولا احسده ...

ونظر «الحسد» حوله فوقع بصره على «الشره» ،ذلك
الزميل المزاحم ، فما يفعله «الحسد» في الخفاء
يفعله «الشره» في العلن ، واراد الحسد ان يقنع

نفسه بان صاحبه يبلغ مرامه عن طريقه بسهولة
اكثر من طريق «الشره» ، ولكنه احس بضعفه
وبمركبات النقص التي تكتنفه فسكت ، وانصت
الى «الشره» الذي وقف بين الحاضرين خطيباً ،
واومأ الى «التكبر» و«الغضب» قائلا :
– ما اقل عقليكما ، انكما تضيعان الوقت في الهذيان
والخرافة ، الا تريان ان صاحبنا محاط بعدد لا
حصر له من الخيرات والطيبات ، ان عليه ان
يتلذذ بها قبل ان يفوت الأوان ، عليه ان يغرف
من المال ولا يكتفي ، وعليه ان ينهش من الاكل
ولا يشبع فما بالكما تقطعان عليه تسلسل افكاره،
وتعوقونه عن ركوبي انا نحو المزيد المزيد ؟
وكان «البخل» في هذه الاثناء ممسكاً بتلابيب نفسه
كعادته ، وقد انغرزت اظافره الطويلة القذرة
بين طيات اثوابه المهلهلة الزرية . فقام من مقعده
وجلس بجانب «الشره» ، ونظر اليه نظرة تحبب
ومودة ، ولكزه برفقه بلطف المداعبة ، وقال
وصوته يخرج مزكوماً من انفه الشبية بمنقار الصقر:
– شالوم حبيبي «الشره» ..
نحن اصحاب ، نكمل بعضنـــا ، انت تجمع ، وانا
احفظ ، انت تجلب ، وانا اكتنز واختزن ولا
ترى كنوزي النور ، هكذا يكون التوفيق في

المشاركة نحن والحمد لله متفقان متآزران ..

فنظر « الشره » اليه نظرة لا تخلو من الكثير من التردد ، فهو يريد ان يستعين «بالبخل» ، ولكنه يريد ايضاً ان يتلذذ صاحبه ويتنعم بما يجمع ولا يرضى بان تنطلي عليه خدعة «البخل» ...

وهناك... هناك كان «الكسل» مكوماً على نفسه، وقد تراخت اجفانه حتى اشرفتا على الانطباق، وكانت خدوده المكتنزة المدلاة على فمه تترجرج وهو يحاول بكل جهد ان يتحدث ، ثم يستعيض عن التحدث بالمناجاة الحالمة ، واذا به يقول وكأنه يغني :

– انا الكسل ، انا احلى من العسل ، انا الذي افسح لصاحبي فرصة اغتنام فرص الحياة ، انا الذي اتيح له ان ينعم بغفوة، او تشوقه متعة، او يسره لهو.

وحين يصل في ترنيماته وترتيلاته الى هذا الحد ، تنبعث ضحكة فاجرة ماجنة من وسط القاعة، وتتحول الى قهقهة طويلة تتركز بفعلها الانظار على مبعثها: انه «الفسق» .

وكان «الفسق» يجلس متربعاً وقد وضع على ركبته احدى بنات الهوى من افكاره، وفي يده زجاجة مترعة بخمر عتيق ، وكان يشخر ويضحك ويصيح بملء فمه :

– يا ايها القوم المساكين ، يا ايها الحمقاء الجهلاء ، ما بالكم تضيعون الوقت بما لا يفيد ، وتتوسلون الى

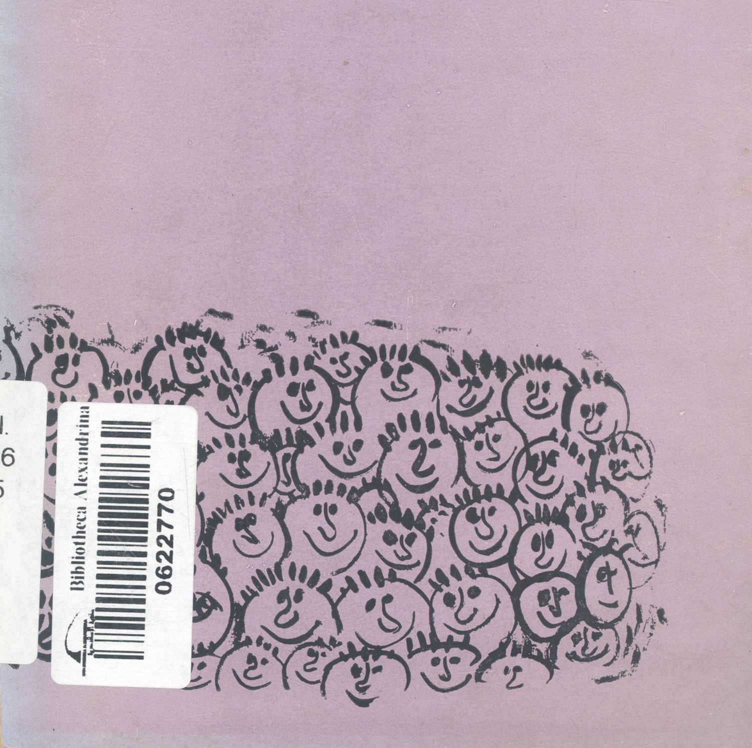
الوسيلة ، وتغفلون عن الغاية وهي بين يدي ، انا
احتقركم جميعاً لانكم دوني تذوقاً لاطايب الحياة .
ثم انكم دائماً مرذولون محتقرون ، يخاف صاحبكم
ان يظهركم او يشتهر بكم ، اما انا ، فاني على مر
الأزمنـــة والقرون عصري «مودرن » ، يباهي
الشاب بي ، ويتذكرني الشيخ بالحسرة والدموع ،
وكلما امعن المجتمع في الحضارة والمدنية ، كلما زدت
وضوحاً ولم يعد احد يخجل مني . انا سيدكم الذي
يظهر مع صاحبكم في المجتمعات وفي غدواتـــه
وروحاته امام اعين الناس... انا اذن اشرفكم..
تصوروا ، يا لسخرية القدر : ان اقرن نفسي انا
الفسق بالشرف...فلنضحك جميعاً .. لنسخر كلنا
من هذا الدهر وهذه الحياة الدنيا ، لانها لا تستأهل
الا السخرية ..

وعندما بدأت تباشير نفسي ترســـل اول خيوطها ،
وبـــدأ ضميري النائم يتململ ويتقلب تمهيداً
للاستيقاظ ، عندها تقدم سكرتير المؤتمر بمشروع
قرار وافق عليه الحاضرون بالاجماع ، وهو يقضي
بمواصلة الكفاح من اجل التغلب على العـــدو
المشترك : الضمير والمجتمع وضيق الوقت .. وعادت
الخطايا السبع مسرعة الى جحورها ...

المحتويات

الصفحة

مقدمة	٥
انا	٨
سجين الـ « انا »	١٢
افندم	١٦
كاتب ، مع وقف التنفيذ	٢٠
السينما ... بالعكس	٢٥
نفاق	٣٠
على مفترق الغضون	٣٣
خدوم	٣٧
كلمه هو	٤١
زمامير دحروج	٤٥
عندما تقلع الباخرة ...	٥٠
« نكتجي »	٥٦
عبوس وغباء	٦٠
مأساة في شارع الحمراء	٦٦
عبقري ... غصباً عنه	٧١
بين نارين	٧٥
بديهي افندي ..	٨٠
النعسانون	٨٧
لطيف بلا عاطفة	٩١
مؤتمر الخطايا السبع المميتة	٩٥



Bibliotheca Alexandrina
06222770